الحقيقي الذي يمتاز بالحيوية والاستقلال وحرية الحركة داخل القصيدة . لنأخذ مثلا قصيدة الديوان الاخيرة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » ، التي يعتبرها الشاعر اكثر قصائده « حداثة وتعقيدا »(٧١) . فمع ان الشاعر قصد ان تكون شخصية سرحان رمزا للشعب الفلسطيني فهو لم يستطع بلوغ الرمز من حيث هو صورة مستقلة تفعل بذاتها وتنمو داخل القصيدة . ولم يستطع أن يتقمص شخصية سرحان ولذلك اعتمدت القصيدة السرد لا الفعل الدرامي ، فظل الشاعر يتدخل من الخارج ليحدثنا عن سرحان، ولم تظهر شخصية سرحان بذاتها كصاحب فعل في القصيدة . ولم يستطع محمود درويش ان يتخلص من التعبير المباشر في مواضع كثيرة من مجموعته الشعرية هذه كأن يقول مثلا : « وسرحان متهم بالضياع وبالعدمية »(٧٢)، و« سرحان لا يقرأ الصحف العربية..لا يعرف المهرجانات والتوصيات.فكيف اذن جاءه الحزن..كيف تقيأ؟ »(٧٣)، و« جراحك مطبعة للبلاغات والتوصيات ، وباسمك تنتصر الابجدية ، باسمك يجلس عيسى الى مكتب ويوقع صفقة خمر واقمشة ويحيي العساكر باسمك »(٧٤) .

كذلك ، ومع ان محمود درويش استغل في مجموعته هذه ، الاشارات الاسطورية ، فهو لم يستطع أن يعيد خلق الاسطورة ، ويكسبها معاني جديدة اذ أن الاسطورة التي تعبر عن حقائق النفس البشرية ، توحد بين العيني والمطلق ، وترتفع بالتجربة الشعرية من الفردية الى الحقيقة الانسانية الخالدة . فالشاعر وان استطاع ان يتحد مع الوطن في مواضع كثيرة ــ أشرنا الى بعضها ــ في ديوانه ، فانه لم يستطع ان يجعل من هذا الوطن اسطورة . وان تخطى التجربة الفردية الى القومية وشارف التجربة الانسانية المطلقة ، فانه لم يبلغها .

لكن هذه الاحكام لا تغض من قيمة ديوان « احبك او لا احبك » . فهذا الديوان الذي يمكن اعتباره تحولا ملحوظا في مسيرة محمود درويش الشعرية ، هو بداية انطلاق الشاعر نحو آفاق جديدة من الصعب ان نعرف الان الى أي مدى ستصل به . وقد حكمت على هذه المجموعة الشعرية بالمعايير النقدية نفسها التي يحكم بها على أي شاعر عربي آخر ، لايماني ان الشعر الفلسطيني ليس ظاهرة منقطعة عن تيار الشعر العربي الحديث ، بل هو جزء من هذا التيار . ومن البديهي ان محمود درويش ليس من جيل رواد الشعر العربي الحديث كالسياب والحاوي والبياتي وادونيس وعبد الصبور ، واذا فنحن نتجنى عليه اذا حاولنا ان نجد له مكانا بينهم . ولكنه من الجيل الثاني من شعراء التيار الحديث ؛ هذا الجيل الذي ما زال يبحث عن طريق : فهو تارة يقتفي آثار الرواد ، وطورا يحاول اشكالا جديدة من خلال قراءاته للشعر العالمي . ولكن المهم ان محمود درويش اكتسب تجربة نضالية وفنية جديدة ظهرت بوضوح في مجموعته الشعرية الاخيرة ، فبلغ فيها مستوى لم يبلغه في قصائده التي نظمت في الوطن المحتل. لان وجوده في العالم العربي فتح امامه مجال الاستفادة من تجربة الشعراء الرواد في الادب الحديث ، ومواكبة النشاط الادبي العربي والعالمي بشكل مباشر ، فضلا عن الابعاد النضالية الجديدة التي اغنت بها تجربته الشعرية . ولا تعد السنة او السنتان كثيرا في مسار التجارب الشعرية . وأرى أن أمام محمود درويش آفاقا واسعة في الشعر يستطيع ان يصل اليها بموهبته ، اذا انكب على تعميق ثقافته الفلسفية والنقدية ، واذا واصل تكثيف تجربته النضالية ، فيكون ما عرف « بقضية خروج محمود درويش » انبعاثا جديدا للشاعر .

---

١ ــ جريدة **الانوار** ، بيروت ، ١٩٧١/٢/١٠ ، ص ١ .

٢ ــ جريدة **الانوار** ، نص البيان الصحفي الذي تلاه محمود درويش ، بيروت ، ١٩٧١/٢/١٢ ، ص ٦ .

٣ ــ م. ن. ، البيان .

٤ ــ م. ن. ، البيان .

٥ ــ مجلة **الصياد** ، بيروت ، ١٩٧١/٣/٢٥ ،